التكامل المعرفي بين العلوم: علم الاجتماع والعلوم الإسلامية أنموذجا

Knowledge Inter-Complementation between Sciences : Sociology and Islamic sciences as a model

مصطفى بن دريسو [*1]، عبد الرزاق قسوم [2]

[1] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة)، جامعة غرداية (غرداية)

bendrissou.mustapha@univ-ghardaia.dz

[2] جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، abguessoum@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/02/20 تاريخ القبول: 2022/04/28 تاريخ النشر: 2022/12/14

ملخص:

ينطلق التكامل المعرفي بين العلوم من نظرية المعرفة الجامعة بين العقل والحس والوحي، ويسعى أن يصحح المفاهيم لدى المسلم، فيحفزه على التبحر في العلوم من منظار أن العلوم كلها من الله.

وتهدف الدراسة أن تطبق معيار التكامل بين العلوم الإسلامية وعلم الاجتماع، رغم تعارض هذا الأخير ظاهريا مع أسس العلوم الإسلامية من وجهة نظر الفكرة الدينية عند دور كايم، بخلاف الفكرة الدينية عند ماكس فيبير التي تظهر إمكانية الانسجام بين العِلمين.

كلمات مفتاحية: *التكامل المعرفي، علم الاجتماع، علوم إسلامية، الظاهرة الدينية*

Abstract:

Inter-complementation between sciences relies on the theory of knowledge; the mind, sense, and revelation. It aims to correct misconceptions and motivate the Muslim to explore the depths of sciences as all leading to the truth about God.

This study aims to demonstrate that knowledge is inter-complementary between Islamic Sciences and Sociology despite the second being at the surface in opposition with the foundations of the first according to Durkheim's view of religion, and unlike Max Weber who finds harmony between the two sciences is possible. and clear. In

***Keywords**: Knowledge Inter-complementation, Sociology, Islamic Sciences, The Religious Phenomenon*

[*] المؤلف المراسل: مصطفى بن دريسو ، الإيميل : bendrissou.mustapha@univ-ghardaia.dz

1. مقدمة :

إن الحديث عن التكامل المعرفي يجرنا إلى استحضار أسس نظرية المعرفة التي تعتبر أن مصدر معرفة الإنسان يكون من العقل أو الحس أو الوحي، وهذا الأخير (الوحي) هو الذي يعتبره المسلمون رافدا معرفيا أساسيا في الحياة نظرا لعجز الإنسان عن الإحاطة بما حوله، ولافتقاره إلى آليات التعرف على العالم الغيبي إلا مما جاء عن طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومن ثَم صارت نظرية المعرفة عموما تستند إلى أسس ثلاثة لا مناص من استبعاد أحد عناصرها.

لكن الإشكال الذي يعترض المتعلم والدارس للعلوم في هذا العصر هو القطيعة المعرفية التي تغشى عقله، والتمويه المشوه لمعارفه، بحيث صار ينسب الأمور إلى نفسه، ويسمي الاكتشافات بمسميات إنسانية مغيبا أثر ملهم تلك المكتشفات، ومعرضا عن تبيان حقيقة عمله أمام موجِد تلك القوانين والنظريات، وهذا ما ولَّد إلحادًا معرفيًا خطيرًا في العقل الإنساني، وركودًا ميدانيًا عن البحث في الحقائق المعرفية، وعجزًا عن التبحر في العلوم والتقصي فيها، وكل ذلك سببه -في نظرنا- غياب النظرة الصحيحة عن العلاقة بين العلوم وحقيقة كون الله تعالى.

وسنحاول في هذه المقاربة أن نكشف المستور، ونوضح المحجوب عن أعين الكثير، تصحيحا للمنظومة المعرفية للمسلم، وتبيانا لكل معارف الإنسان وكل الدراسات العلمية والإنسانية دون استثناء لا تخرج عن البحث في كون الله، سواء اكتشافا للجديد، أو رسكلة للموجود.

2. النظرة التوحيدية للعلوم تحقق التكامل المعرفي:

بنظرة مجردة إلى الحقائق الكونية سنتوصل إلى أن العلوم تبحث في كون الله، ولا تخرج عنه مطلقا، لذلك لا مجال للإلحاد أو العلمانية الداعية للفصل بين العلم والله، لأن هذه مغالطة معرفية أورثها إيانا الفكر الغربي ذو القطيعة المعرفية بين ما هو من الله وما هو من البشر، بينما المسلم يؤمن أن كل شيء من الله، ويعتقد أن كل من بحث في أمر ما إنما هو ينقِّب في كون الله تعالى، وهذا من باب قوله تعالى: "فَبِأَيِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" (سورة الرحمن: 13)، وهذا ما يبين أن العلوم كلها لها منطلق واحد، وهو الإقرار بالله تعالى ربا ومسيرا للكون، وهذه أهم نتيجة تظهر علاقة العلوم ببعضها، وتبين أن لها مشتركا أساسيا تنطلق منه، وهذا ما يعزز مفهوم التكامل المعرفي بين العلوم، وسنقدم نماذج واقعية عن هذه النظرة المعرفية التوحيدية والتكاملية.

1.2 علوم المادة:

قد يتصور المتتبع لعلم الفيزياء والكيمياء أن القوانين التي تسيّر الظواهر الفيزيائية وتحكم التركيبة الجزئية للمعادن والغازات إنما هي قوانين مجردة عن أي تأثير خارجي، وتخضع للحتمية الطبيعية المطلقة، على مثل أن قانون الجاذبية المنسوب إلى العالم إسحاق نيوتن، صاحب ملاحظة سقوط التفاحة قد مكن الإنسانية من تطوير مجالات معرفية ضخمة، والفضل في ذلك كله يعود إلى نيوتن مكتشف هذه الظاهرة. أو على مثل أن ظاهرة التفاعل الذري بين العناصر الكيميائية، هي التي تسمح بربط ذرات المعادن والغازات ببعضها وفق الحاجة إلى التبادل الإلكتروني، فيتشكل نتيجة لهذا التفاعل جُزيء جديد، باعتبار أن التلاحم الذري السبب الوحيد في تنشئة العنصر الكيميائي غير المسبوق، كما يحدث مثلا بين تفاعل ذرتي الهيدروجين والأكسجين فنحصل على جُزيء الماء.

فهذا هو النموذج الواقعي للتحليل الفيزيائي والكيميائي لكل الظواهر المادية حسبما هو متداول، وهذه هي الطريقة التي يدرَّس بها الطلبة في المدارس والثانويات، وعلى وفق هذا الطرح يتم التشريح في المخابر، ليتبادر إلى الذهن، قيمة هذا المنهج المادي في تفسير الظواهر الكونية.

ولبلوغ جواب علمي مؤسس، نوجه الأنظار بداية إلى ملاحظة أشياء أخرى في نفس هذه الظواهر قلَّ ما ينتبه إليها الباحثون المسلمون فضلا عن الغربيين، كما هو الحال في المثالَين السابقين اللذَين تغيب فيهما لب الظاهرتين وجوهرهما، والمتمثلة في نسبة الأمر إلى صاحبه الأساس، وتبيان من وراء إيجاد الظاهرتين وغيرهما، وكيف يتم ضمان تحقيقها على أرض الواقع.

فإذا عدنا إلى قانون الجاذبية وقانون التفاعل الكيميائي بمفهوم النظرة التوحيدية، فإنه يتحتم علينا ألا ننظر إلى سقوط التفاحة كظاهرة فيزيائية مجردة عن البحث فيمن أعطى خاصية الجذب إلى الأرض، وإنما تقتضي النظرة التوحيدية للمعارف أن يصرح بأن هذا القانون مما أودعه الله في كونه، وبه تسير كل الأجرام السماوية والمواد في الطبيعة، وتستلزم هذه النظرة التوحيدية أيضا أن يقال إن نيوتن مكنه الله من اكتشاف ما استودعه في كونه، وإن العلم استطاع بفضل الله أن يضم الكيميائي عنصرا كيميائيا من خلق الله إلى عنصر آخر من نفس المصدر ليحصل الإنسان في النهاية على عنصر كيميائي جديد من خلق الله.

والفائدة الأولى من هذه النظرة التوحيدية للعلوم، والنظرة التكاملية بينها أن تجعل الإنسان الفاني لا يغتر فينسب الأمر إلى نفسه فقط، ويترك موجِد الظاهرة ومفعِّلها دون ذكر، لأن الإنسان لم يأت بأمر جديد من عنده، وإنما له فضل الملاحظة الدقيقة وفضل صياغة الافتراضات المتعددة ثم التحقق منها وفق المنهج التجريبي، ليصل في الأخير إلى صياغة قانون

يربط الأسباب بمسبباتها، وإلى قياس الأمور بدقة. والمقصد الأسمى من هذا البحث المادي هو التفكر فيمن خلق تلك العناصر المادية التي يتعامل معها الإنسان، لذلك لا يحق بأي شكل تمجيد الملاحِظ وتسمية القانون الجديد باسمه، ثم تغييب موجِد الظاهرة وراعيها، الذي هو الله.

والفائدة الثانية المستخلصة من الدعوة إلى النظرة التوحيدية للعلوم والتكاملية بينها هي غلق السبيل على الإنسان من التطاول على الظواهر الكونية واستغلالها لصالحه ومنافعه الخاصة، والحد من الاستعمال الجشع للطاقات الكونية والاختراعات بمقصد جلب الأرباح لنفسه فقط، لأن الإنسان الذي يسند الأمر إلى الله، سيراعي مقصد الله من خلق هذه الظاهرة، ويسعى إلى أن يستغل الطبيعة استغلالا عقلانيا من دون أن يضر بالآخرين، أو يتسلط عليهم ويتجبر.

أما الفائدة الثالثة فإنها تعود بالخصوص على المؤمن بالله، والمتمسك بدينه وفق كتاب الله وسنة رسولهﷺ، وسيجنيها المسلم الذي أصيب بالفتور في علمه وعمله، وابتلي بالركود في صناعة الحضارة كغيره من الفاعلين الناشطين في الميدان. ولو بحثنا عن السبب الأساس الذي أقعد المسلم عن التفاعل الحضاري مع غيره سنجده يعود إلى الغبش المعرفي الذي أصيب به عقله حين تأثر بالأوروبيين الذين اكتووا من نار الكنيسة في عهد الظلام، فقرروا فصل الله عن العلم، فلما أصيب المسلم بشظايا هذه المعرفة عن طريق المناهج الدراسية، ومناهج البحث العلمي لم يجد منفعة في ترويض الكون له، ولم يجد محفزا لتسخير ما فيه لصالحه ولصالح الإنسانية من دون الإضرار بالآخرين، فتقاعس لذلك عن طلب العلم، والاكتشاف المعرفي، والمنافسة في الاختراعات باعتبارها مما يضمها كون الله تعالى، وترتب عن هذا الخمول أيضا الحياد عن الطريق السوي الذي سلكه الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوة قومهم عن طريق التفاعل الإيجابي مع الكون، كصنع سيدنا نوح عليه السلام للسفينة، ومداواة سيدنا عيسى عليه السلام للأكمه والأبرص، فصارت غفلة المسلم عن البحث في الكون وبالا عليه في دنياه وآخرته، وأبعدته حتى عن سيرة سلفه الصالح الذين جمعوا ذات يوم بين تقصي الحقيقة في علوم الشريعة وبين الغوص في دقائق علوم المادة دون أي حرج معرفي، فألفوا في مختلف المجالات العلمية والشرعية على حد سواء باعتبار أنها تتميز بوحدة المصدر الذي هو الله تعالى.

2.2 الفلك:

ما قيل عن علوم المادة يقال عن علم الفلك، الذي نجد له آيات عديدة في القرآن الكريم توصي بالنظر في ملكوت الله تعالى، كقوله تعالى: (اِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لِّاُوْلِي الاَلْبَابِ)(سورة آل عمران: 190)، كما أن الكثير من الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام وجهوا أقوامهم إلى حقائق فلكية دقيقة ساندها علم الفلك المعاصر، مما يدل على إيمانهم بأهمية التفاعل الإيجابي مع كون الله، فهذا سيدنا نوح عليه السلام نبه قومه إلى ظواهر طبيعية في غاية الوضوح، فبين لهم ضياء الشمس، وانعكاس ضوئها على سطح القمر ليشع نورا يتلألأ في الليلة المقمرة، فقال لقومه: (اَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)(سورة نوح: 15، 16). فلو أدرك المسلم حقيقة دوره في الحياة، وآمن بعدم وجود انشطار معرفي بينما هو من الله وبين ما ينسب لعلوم الدنيا لسعى أن يفهم الآية جيدا، وربما حفزته أن يصل إلى القمر ما دام أنه يعكس الضوء وليس أنه يصدره، ولسعى أيضا أن يكتشف كون الله بحرارة عقدية دافقة.

والنظرة التكاملية للعلوم من خلال الإقرار بأن منطلقها من الله تعالى تدعو الإنسان إلى عدم تغييب الله مطلقا في آلائه، كمثل الذين يغيبون الله عند الحديث عن إنسان اعتكف ذات مرة لشهور أو سنوات فرأى جرما سماويا فيُنسب الجرم إليه، وهذا ما يقال مثلا على "كوكب بلوتو"، فيُنسى الله الذي خلق الكوكب وما فيه من غازات وعواصف، وما أودع فيه من جاذبية وأشياء أخرى لا زالت لم تكتشف بعد.

وعليه فإن التكامل المعرفي يقتضي أن لا ننظر إلى العلوم بنظرة تجزيئية، وألا نفصل بين علوم دنيوية وعلوم أخروية، لأن كل العلوم باستحضار العقيدة الصحيحة هي من الله، من باب قوله تعالى: (قُلِ اِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِيَ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(سورة الأنعام: 162)، ومن قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ التِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالاَرْضِ ءَلاَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (سورة البقرة: 164).

فالنظرة التوحيدية التكاملية هي خير محفز على التفاعل مع كون الله، وهي التي ستحفز المسلم على المشاركة مع الأمم في الصناعة والفنون، وتدعوه إلى استشعار رقابة الرحمن في التصرفات والوظائف، وفي الأقوال والأعمال. وهذه النظرة بين العلوم هي التي ستصحح لنا المفاهيم فتجعل المسلم الجالس في كرسي الدراسة يعتقد أنه في عبادة حقيقية لله؛ فلا غش، ولا كسل، لا فتور. وهي التي ستحول المهندس المسلم المستهلك للتطور الصناعي الغربي إلى مهندس يسعى أن يبتكرَ قوانين جديدة في الطبيعة باعتبار أن فعله يندرج في التسبيح الفعلي المأمور به شرعا، موازاة مع التسبيح القولي باللسان والقلب. وهذه المفاهيم التكاملية كفيلة بإذن الله تعالى أن تمكن الباحث من الاجتهاد في مخبره بمقصد اكتشاف آلاء الله في الكون، وتدفعه إلى الانتفاع بما سخره الله من حيوان ونبات ومعادن وهواء لأجل الإنسانية، وتذكر

العامل في متجره ووظيفته بأن يكون متقنا ومتفانيا في عمله دون رقابة ولا محاسبة، لأنه مستخلَف من الله في ملكه وأرضه.

3. دور الأنبياء في بناء الحضارات:

إن الحقيقة العظمى التي حملها الأنبياء على كاهلهم هي دعوة الخلق إلى عبادة الله الواحد القهار(1)، وإيضاح ما أبهم على الناس، وبيان ما غاب عن أنظارهم، فلذلك كانوا مجدين في إعلام أقوامهم بالمصير المحتوم للإنسان في الآخرة، وترشيدهم إلى سنن الله في كونه، وإن الهدف من قص الله قصصهم على نبيه محمد ﷺ هو تثبيت قلبه ﷺ وتسليته، وهداية المؤمنين ورحمتهم، يقول تعالى: (وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ اَنبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَا لِلْمُومِنِينَ)(سورة هود: 120)، وقوله أيضا: (إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ أَكْثَرَ الذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ)(سورة: القصص: 76، 77)، فأحداث قَصص الأنبياء عليهم السلام هي حقائقٌ كونية وقعت في الزمن الماضي، ولا يزال إشعاعها يستنار به لحاضرنا، وسيبقى عبَقُ نورِها يُستشرف به لمستقبَلنا، قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِن اِلَهٍ اِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(سورة آل عمران: 62).

فعلينا أن نقر بأن الحضاراتِ لم تقم إلا بعد مجيء الأنبياء عليهم السلام؛ هداةً ناصحين إلى الحق، ودعاة موجهين إلى التفاعل الإيجابي مع كون الله، وإن غيبت القراءةُ الجوفاءُ في كتب التاريخ المعاصر الدورَ الأساس للأنبياء في بناء حضارة أقوامهم، وأبعدت تحليلاتُ الأوربيين الذين فكوا رموزَ الكتابات القديمة ورسومَ الحفريات معاني توحيد الله، فصاروا يفسرون كلَّ صور الحكام على أنها رموز للآلهة المتعددة، ويحللون كلَّ شيء بمنطق الوثنية والشرك، وغرضُهم في ذلك إقرار حرية الإنسان الأول من القيود، وتوثيقُ الانحلال الخلقي والفحش والمنكر كأصول متجذرة في العنصر البشري.

فلو أخذنا كمثال الحضارة المصرية فسنجد أنها انتشرت في بلاد صحراوية تحرقها الشمس، واحتشدت في واد ضيق يرويه نهر النيل، واتسعت إلى عدة مدن، ودامت 30 قرنا(2)، كانت السلطة الكاملة فيها للحكام الفراعنة الذين يقال إنهم يعدون أنفسهم آلهة، أو ينحدرون من نسل الآلهة، وما ذلك إلا لإعطاء المهابة للحاكم، والاستسلام له بالسلطة المطلقة في تسيير الدولة، حيث تنشر لهم صور في الغالب على هيئة بشرية برؤوس حيوانية كدليل على اتحاد الإقليم الجنوبي مع الشمالي، باعتبار أنهما يتميزان برموز خاصة لكل منهما (3).

وأغلب تفسيرات هذه الحضارة انطلقت من خلال أبحاث شامبليون(4) الذي فك شفرة اللغة الهيروغليفية، بتفسير الإشارات التي تحتوي على أشكال من الطبيعة والإنسان والحيوان

والنبات والماء والشمس وغيرها من الظواهر الطبيعية على أنها آلهة، وسارت الأبحاث بعده على تحليلاته، فغيب أثر الأنبياء مطلقا من حياة هذه الحضارة رغم أن الكاتب إسماعيل حامد عدَّد 19 نبيا عاشوا على أرض مصر(5)، وعلى رأسهم سيدنا موسى، وسيدنا يوسف عليهم السلام.

ونحن ننشد أن يعيد الباحثون المسلمون المتخصصون قراءة الأثريات المكتشفة بمنطق قوله تعالى: (وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ)، وقوله أيضا: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)(سورة الإسراء: 15)، وبإشعاع الآية الجامعة: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَاتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىآ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ، ذَالِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)(سورة الأنعام: 130،131). ليتوصّل هؤلاء الباحثون الجادون بإذن الله تعالى إلى نتائج مختلفة عما يشاع عن حضارة مصر، ولأمكننا أن ندرك قيمة التغييرات التي أحدثها الأنبياء في المجتمع المصري، علما أن هذه الحضارة الطويلة لم تكن كلها وثنية كما يشاع، لأن هذا أمرا غير معقول، ويتعارض مع نواميس الله في كونه، وإنما كان للأنبياء دور مهم في توجيه الناس في دنياهم وآخرتهم، وإيقاظ الهمم لصنع مجتمع متحضر، وإلى استغلال الكون المفتوح لاكتشاف آلائه، وكشف أغواره.

وكنموذج عملي لما ذكرناه عن مصر من أن الأنبياء عليهم السلام كان لهم أثر قوي في حضارتها، نتوجه إلى ما قصه الله تعالى عن سيدنا سليمان الأواب عليه السلام، الذي تفاعل مع الإنسان والطير والجن وأجريت له الريحُ رخاءً وعاصفةً، وسخر الله له الشياطينَ يبنون له الأعاجيبَ ويغوصون في البحر، ووُهب له الخيلَ السّراع، والجيشَ المطاعَ المنظم، ووُهب فوق كل هذا المُلك التذللَ للمالك الوهاب، والخضوعَ المطلق للقاهر فوق عباده، فقال الله عنه(6): (وَلَقَدَ .اتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا، وَقَالاَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الذِي فَضَّلَنَا عَلَى ا كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُومِنِينَ)(سورة النمل: 15).

ويجرنا الحديث عن سيدنا سليمانُ عليه السلام لنتعظ بالهدهد الذي قدم تقريرا عن الحالة السياسية، والاقتصادية، والدينية للمملكة التي عاينها وزارها، إذ أمره سيدنا سليمان عليه السلام أن يحمل رسالةً إلى الملِكة فقال: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾(سورة النمل: 28). ولما ألقى الهدهدُ الكتاب بين يدي الملِكة، قرأته وجمعت وزراءَها ومستشاريها قائلة: ﴿يَآ أَيُّهَا الْمَلأُ اِنِّيَ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾(سورة النمل: 29)، وتلت عليهم مضمونَه، وفيه: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(سورة النمل: 30-31)، ولما أكملت قراءته، أجمعت حاشيتها واستشرتهم ثم قررت الملكة الحكيمة أن تصانع سليمان بالهدايا، فغضب على ذلك وعزم على إحضارها، فقال

لوزرائه من الإنس والجن: ﴿قَالَ يَآ أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَاتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَّاتُونِي مُسْلِمِينَ﴾(سورة النمل: 38). فتسارع جنودُ سليمان وأنصارُه لتلبية الطلب، وإذا بعرش ملكة سبأ حاضرٌ بين يدي سليمانعليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه. فلما رآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيَ ءَآشْكُرُ أَمَ اَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(سورة النمل: 40).

ويستوقفنا في هذه القصة الإيمانية استعمال سيدنا سليمانعليه السلام كلَّ مظاهر العظمة في حضارته لدعوة ملكة سبأ إلى الله الواحد الأحد، إذ أرسل إليها كتابا وصفه الله بأنه كريم، فبمجرد أن تلقته الملكة قرأت فيه حضارةَ سيدنا سليمانعليه السلام، وأدركت قدر المرسِل، فربما كان الكتاب من ورق راق وخفيف استطاع خلق ضعيف مثل طائر الهدهد أن يحمله آلاف الكيلومترات، ولنا أن نتخيل نوعية المداد والخط والزركشة التي طُرزت بها الرسالة، حتى وصفه رب العزة بكتاب كريم.

وعندما حضرت الملكة بجيشها إلى سليمانعليه السلام وجدت عرشها الموصوف بالعظمة من رب العظمة ماثلا أمامها وقد غُيِّر فيه بعض الشيء، ولم يكتف هذا الحكيم بإحضار العرش وتنكيره، وإنما صنع للملكة قصرا جعل أرضَه من الزجاج، وأسال الماء من تحته، حتى توهمت الملكةُ وانخدعت، مع أنها تدرك ما يصنعه الخدم لملوكهم، وتعرف زخارفَ القصور وأبهاتِها، فكانت هذه العروض الحضاريةُ سببا لإسلامها، والحمد لله.

أفلا يستوقفنا هذا الفعل الحضاري من سيدنا سليمان عليه السلام لنحاسبَ أنفسَنا، لماذا تخلينا عن صناعة الحضارة في عهدنا؟ ولماذا صرنا نستهلك حضاراتِ غيرنا؟ ولماذا تقدم غيرنا وتخلفنا نحن؟ ولماذا بتنا في مؤخرة الركب؟ ولماذا صار غيرنا يبيدنا ويستعبدنا؟ ولماذا تخلينا عن التألق في العلوم وتركناها لغيرنا يسيطر عليها كيفما يشاء ويحلو له.

ويظهر لنا جليا بعد بيان أن العلوم من الله، وبعد استعراض نماذج من رسل الله تعالى في اهتمامهم بالمعرفة والحضارة أهمية الإقرار بالنظرة التوحيدية للعلوم التي لها مصدر واحد، والإقرار بالنظرة التكاملية بين هذه العلوم على الأقل من زاوية أن لها منشئا واحدا هو الله، فضلا عن تعزيز أهمية الدعوة الجادة إلى التمكن في ناصية العلم؛ الشرعي والكوني، وإلى المنافسة في اكتشاف قوانين الطبيعة، والإسهام في اختراعات معاصرة تثبت اعتزاز المؤمن بكون الله، وإيمانه بتسخير الله لما في السماوات والأرض للإنسان المنسجم مع الله وكونه، ومن ثم يسهل بعد هذا الاعتقاد طرح فرضية أن تكون العلوم المتقاربة في مجالاتها ممكن الاستفادة من بعضها مادام أنها تنبثق من رب واحد، وهذا ما سنطرحه فيما يأتي.

4. الظاهرة الاجتماعية والدين:

يجدر قبل الحديث عن التفاعل المعرفي بين علم الاجتماع والعلوم الإسلامية أن نتعرف على مجال دراسة علم الاجتماع، ونحلل نظرته إلى الدين، حتى يتسنى لنا معرفة ما إذا كان يمكن الاستفادة بينه وبين العلوم الإسلامية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى أم لا؟

وسنكتفي بعرض نظرة رائدَين اجتماعيَين لعلم الاجتماع وعلاقتهما بالدين، وهما: "دور كايم"، و"ماكس فيبير"، ثم ننظر بناء على نظرتهما للدين إمكانية إقامة توأمة بين العلوم الإسلامية وعلم الاجتماع.

1.4 الظاهرة الاجتماعية عند دور كايم، وتحليله للدين:

اهتم إميل دوركايم (1858م - 1917م) ببناء علم اجتماع مستقل عن العلوم الاجتماعية الأخرى، وتبنى موقفا وضعيا يعتمد على الملاحظة الميدانية، وعلى القول بشيئية الظاهرة الاجتماعية(7)، واستطاع من خلال طرح هذه النظرة الشيئية أن يتطور علم الاجتماع تطورا معرفيا ومنهجيا ملحوظا، وأن يدرس الظواهر الاجتماعية بأقيسة رقمية وبقراءة سوسيولوجية للنتائج الإحصائية. لكن الإشكال الذي يواجه المتفحص لهذا الطرح يجد أن دور كايم عمم منطلق الشيئية على كل الظواهر الاجتماعية بما فيها الدين الذي يراه من وضع المجتمع وليس من الله، فكرس بذلك القطيعة المعرفية بين الله والعلم، وأبعد أثر الدين في حياة المجتمعات، وإزاء هذا الوضع المأساوي نطرح الأسئلة التالية:

- هل يمكن الاستفادة من هذا العلم في دراسة الظاهرة الاجتماعية، وبالأخص في المجتمعات المسلمة؟

- وهل يمكن تصحيح الإلحاد المعرفي الذي يطرحه دور كايم؟

- وهل يستطيع الإنسان أن يقيم جسر استفادة بين علم الاجتماع والعلوم الإسلامية؟

هذه أسئلة تتراءى لمن تتبع تحليل الدين عند دور كايم، الذي انطلق في رؤيته من ملاحظة وجود قواعد سابقة على الفرد تحكم تصرفاته، مثل: إحساسه بالإجبار الجماعي، وشعوره بالارتباط العاطفي بالجماعة، مما يتحتم عليه الانضباط في علاقاته، وتتبع الأخلاق السائدة في مجتمعه. كما أنه توصل إلى هذه النتائج بينا على نظرته أن الفكرة الاجتماعية لم يصنعها الإنسان من قناعته، وإنما وجدها كاملة منذ ولادته، فقال في كتابه قواعد المنهج السوسيولوجي: "عندما أدفع بمهمتي كأخ، كزوج، أو كمواطن، عندما أنفذ الالتزامات التي تعاقدت عليها، فإنني أؤدي واجباتي التي تحددت بعيدا عني وعن أفعالي، الواجبات التي تحددت في القوانين والأعراف... وعلى الرغم من أنها [القوانين والأعراف] متوافقة مع مشاعري الخاصة،

وأنني أشعر داخليا بأنها حقيقية، إلا أن هذه العلاقات لا تكشف عن أنها علاقات موضوعية، لأنني لست أنا الذي صنعتها..."(8).

استغل دور كايم الملاحظة السابقة ليعلن أن المجتمع أسبق وجودا من الفرد، وأنه هو الذي يحدد له علاقاته ويؤثر فيه مباشرة، لذلك لا يمكن إهمال الظاهرة الاجتماعية. وهذا الأمر مكَّن دور كايم من تعزيز أهمية المجتمع على سلوك الأفراد، والدعوة إلى التماسك الاجتماعي بين الأفراد داخل المجتمع الحديث، فتساءل(9):

- ما الشيء الذي يحافظ على الرابطة الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع الحديث؟

- هل يمكن الاعتماد على القوانين الوضعية والأخلاق للدعوة إلى التماسك الاجتماعي في المجتمعات الحديثة المتميزة بعقلانية مجردة.

- هل يمكن اعتبار هذه القوانين بديلا عن الدين وأشكاله؟

حاول دور كايم أن يجيب عن هذه الأسئلة وغيرها في كتابه: الأشكال الأولية للحياة الدينية، سنة 1912، متأثرا بأوجست كونت (ت: 1857م)، الذي أقر أن العلم هو المظهر النهائي للمعرفة الإنسانية، وأن المجتمع الحديث -الأوروبي- في مرحلة علمية وضعية لا ينبغي أن يفسر ظواهره بتفسير لاهوتي، ولا ميتافيزيقي(10).

وافترض إثر ذلك دور كايم أن الدين يتشكل في أجزاء بسيطة، وأن مشاعر المؤمنين هي التي تعطي الطبيعة المقدسة للدين، وأن الدين هو الشكل الأولي للروح المشتركة بين الأفراد(11).

وللإجابة عن فرضياته أنجز دراسة علمية اختار فيها مجتمع بحثه من القبائل البدائيين **–ARUNTA-**في أستراليا(12)، على الرغم من أنه يعرف أن مظهر الدين عند هذه القبائل يبدو في أشكال غريبة، لكنه برر ذلك بكون معتقدات البدائيين الدينية بسيطة يمكن اكتشاف أجزائها، وأن مظاهر الدين بسيطة لم تتغلغل في البناء الاجتماعي فيصير معقدا، مثلما هو الحال في المجتمعات المركبة.

واعتمد دور كايم في دراسته على مجموعة من الأبحاث والدراسات، لعل أهمها ما ذكرها هو بنفسه، وهي(13):

- "جون لونج" (1717- 1797م) في كتابه: "الرحلات والأسفار لأحد المترجمين، والتاجر الهندي"، نشر بلندن سنة 1791م(14).

- الأمريكي "لويس هنري مورغان" (1818- 1881م) في كتابه: المجتمع القديم، المنشور سنة 1877، الذي تحدث عن الطوطمية، وحدد خصائصها، وأشار إلى شيوع الطوطمية بين القبائل الهندية؛ في شمال أمريكا ووسطها.

- الأمريكي "جيمس فريزر" (1854- 1941م) في كتابه: الطوطمية نشر ضمن الموسوعة البريطانية في طبعتها التاسعة (1875- 1879م)، واعتمد أيضا على كتابه الآخر: الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، نشر في لندن سنة 1890م.

- "روبرتسون سميث" (1846- 1894م) له كتاب القرابة والزواج في الجزيرة العربية القديمة، نشر في كامبريدج سنة 1885م، وفي كتابه الثاني ديانة الساميين نشر سنة 1889م.

- وكذلك اعتمد على دراسات الباحثَين "سبنسر، وغيلين"(15) اللذين اكتشفا أن عددا من القبائل الأسترالية "الأرونتا"، و"اللوريتشا"، و"يورابُنَّا" تجد وحدتها في الطوطمية باعتبارها عقيدة، وقد دونا أعمالهما في كتابين نشرا بلندن؛ الأول بعنوان: القبائل الأهلية في وسط أستراليا، سنة 1899م، والثاني بعنوان: القبائل الشمالية في وسط أستراليا، سنة 1904م.

توصل دوركايم في دراسته إلى بناء فكري "نظرية" حول الطوطم والمجتمع، وهذه أهم نتائجه(16):

- تتم العلاقات بين الأفراد في المجتمع البدائي على أساس اشتراكهم في الاسم والرمز الطوطمي، وليس على أساس المعاشرة، أو السكنى، أو صلة الدم.

- يشير الطوطم إلى وحدة الجماعة وأساس العلاقات بين الأفراد: فهو "صنف الشيء الذي تحمل العشيرة اسمه"، وهو "شعار"، و"رمز جمعي"، و"النمط الحقيقي للشيء المقدس"، و"مصير العشيرة مرتبط بمصيره".

- تعظيم الطوطم: "لكل فرد طبيعة مزدوجة: حيث يوجد فيه معا كائنان اثنان: إنسان وحيوان"، علما أن "الحيوان الطوطمي كائن مقدس"، و"صور الكائنات الطوطمية أشد قداسة من هذه الكائنات ذاتها"، وبالتالي فإن تقديس الإنسان البدائي للطوطم هو تعظيم لـ"تمثيلات الطوطم" وتقديس لـ"قوى خفية غير مشخصة"، تسمى قوى المانا.

الطوطم دين الإنسان البدائي: "الديانة الطوطمية منظومة معقدة"، وهي تفسر على أن تعظيم الفرد للطوطم يوقظ المشاعر المتشابهة بين المؤمنين في العشيرة الواحدة، ووحدة مشاعر المؤمنين بالطوطم الواحد تشكل الطبيعة المقدسة لهذه الطواطم، في حين أن تجلي تقديس الطوطم يظهر عن طريق طقوس الأعياد والاحتفالات الصاخبة، كالرقصات، والصراخ اللذَين يمنحان القوة الخارقة للفرد، ومن هنا يظهر وجود عالَمَين غير متجانسين؛ عالم الرتابة (الدنيوي)، والعالم المقدس (الروحي).

- بين دور كايم في الأخير أن الفكرة الدينية تتولد لدى البدائي من التوهج في الطقوس، ومن تقديس الطوطم الذي ينتمي إليه الفرد ويحتفل به، واعتبر أن تقديس البدائي للطوطم والاحتفال به هو تقديس -من غير قصد- بقوة المجتمع الذي أقرَّ بالطوطم وشرع الاحتفال به،

ومن ثَم فإن الفكرة الدينية حسب دور كايم وليدة المجتمع، وليس الطوطم أو الإله كما يعتقد البدائي وغيره من المتدينين قديما وحديثا، وعليه فإن دور كايم يكون قد أقر أن منشأ الدين من الإيمان بالطوطم، وأن الطوطمية هي أقدم ديانة بشرية(17)، وأنها مصدر الدين البدائي. وفي الأخير ما دامت الطوطمية مقدسات وطقوس، فهي عبادة المجتمع نفسه ليس إلا، ودون أن يشعر الأفراد بذلك.

وبعد هذه النتائج المتعلقة بالقبائل البدائية عمم دور كايم مفهوم الإله عند المجتمع البدائي (أستراليا) على مجمل الفكرة الدينية، فاعتبر أن الظاهرة الدينية مهما كانت هي خضوع للمجتمع أو الأفراد الذين أسسوا الدين (الضمير الجمعي)(18)، وأقر أن عبادة الآلهة ليست سوى إسقاطات لسلطة المجتمع أو قوته، وبتوسع في رأي دور كايم فإن الدين ينبغي أن يدرس كما تدرس أي ظاهرة اجتماعية، لأنه منبثق من المجتمع، وليس من ظاهرة غيبية(19).

ثم بين أيضا أن مقصد الفكرة الدينية في المجتمع الآلي (التقليدي) هو الحفاظ على التماسك الاجتماعي من خلال الطقوس التي تفرض الانضباط، والاحتفالات الدينية التي تجمع الناس (يتوجه بها إلى الطوطم، أو الإله)، أما في المجتمع الحديث فإن التماسك الاجتماعي ينبغي أن يتحقق عبر بدائل عقلانية، مثل: الوعي الجماعي، والقوانين الأخلاقية، والوحدة السياسية، وتقسيم العمل(20).

يظهر لنا جليا بعد هذا العرض المختصر أن دور كايم كانت له نظرة إلحادية صريحة في تبني أسس علم الاجتماع، تتعارض كلية مع النظرة التوحيدية للعلوم حسبما رأيناها سابقا، لتفتح لنا هذه النتيجة السؤال التالي: كيف يمكن تهذيب نظرة دور كايم للدين؟ حتى يتسنى لنا الاستفادة من هذا العلم، والتوأمة بينه وبين العلوم الإسلامية.

ولعل الجواب يكمن في النظر إلى جهود عالم اجتماعي آخر له تحليلات سوسيولوجية لا تتعارض مع الفكرة الدينية عند المتدينين.

2.4 الظاهرة الاجتماعية والقيم عند ماكس فيبير:

كتب العالم الألماني ماكس فيبير (1864م -1920م) كتابا قيما سماه الأخلاق البروتستانتية، والروح الرأسمالية(21)، حلل فيه مسألة تأثير الأحكام الأخلاقية على السلوك الاقتصادي، فقدم الكتاب في مجمله نظرة مغايرة للنظرة الراديكالية لدور كايم الفرنسي عن الظاهرة الاجتماعية، ونظرة أكثر واقعية لمفهوم الدين تتناسب ومفهوم الدين عند المؤمنين بالأديان، وأوضح بجلاء الفكرة الدينية بعيدا عن اعتبارها شيئا وظاهرة اجتماعية، مما يدعونا إلى وقفة مع محتويات الكتاب، واستعراض أهم نتائجه.

ارتكز ماكس فيبير في كتابه على دراستين أساسيتين، هما:

الدراسة الأولى: تعود إلى تلميذه أوفنباشر، صاحب كتاب: الاتجاهات الاقتصادية للكاثوليك والبروتستانت في مدينة بادن(22)، حيث توصل هذا الأخير إلى النتائج التالية(23):

1- نسبة طلاب الكاثوليك في المؤسسات التقنية، والصناعية، والتجارية ضئيلة قياسا على البروتستانت.

2- تعد مشاركة الكاثوليك في المشاريع والصفقات قليلة في ألمانيا، بسبب أنهم منهمكون في السياسية، خلاف البروتستانت الذين آثروا النشاط الاقتصادي، لسببين:

- إشباع طموحهم خارج خدمة الدولة.
- استبعادهم من الواقع السياسي.

3- تتبع أغلب المناطق المتطورة في ألمانيا طائفة البروتستانت، الذين لهم اهتمام خاص بالاقتصاد منذ ق 16م.

والدراسة الثانية: كانت وثيقة ليهودي يدعى بنيامين فرانكلين (1706- 1790م) أودعها في كتابه "ملاحظات ضرورية لمن يرغب في أن يكون ثريا" والصادر سنة 1736م(24)، وتتضمن الوثيقة الدعوة إلى العمل والتقشف، واكتناز الأموال لاستثمارها، وملخص ما جاء فيها(25):

1- ضرورة الالتزام بالانضباط في العمل، لأن الوقت هو المال.

2- البطال خاسر لا محالة، لأنه يضيع أجرته مرتين، مرة من خلال النفقات التي يصرفها أثناء الراحة، ومرة لأنه لم يستثمر الربح الذي يمكن أن يجنيه من أجرة عمله في حالة ما عمل.

3- عملية الاقتراض هي ربح بحد ذاتها، فلو اكتسب الإنسان ثقة الناس بعمله الجاد والمتفاني، فسيسهّل له المقترضون الحصول على القرض مرة أخرى، وهذا سيزيد في رصيد المقترِض، ويفتح أمامه خزائن المقترضِين، ويمكن له من استثمار مدخراتهم.

4- المال مسخر للاستثمار، لذلك لا ينبغي إهداره وتضييعه.

5- يتحدد الرصيد الحقيقي للربح بعد الجرد السنوي للممتلكات.

وملخص وثيقة فرانكلين أن كسب المال من ضرورات الحياة، مع وجوب الاحتراس دوما من الملذات العفوية في الحياة، كما أن المال غاية في حد ذاته، وليس وسيلة لإشباع الحاجات المادية(26).

استغل فيبير الدراستين السابقتين واحتمل أن الأخلاقيات العقلية التي يؤمن بها البروتستانت والتي تتوافق مع وثيقة فرانكلين هي المحفزة على الاستثمار، وهي محرك النظام الرأسمالي وأساسه، ومن ثم عزم على دراسة تأثير الأخلاقيات العقلية على الاقتصاد الرأسمالي.

بدأ فيبير بدراسة البنية الأخلاقية لمسيرة صاحب المشروع الرأسمالي، الذي يجمع بين شعور حاد نحو العمل الرأسمالي (الادخار، والاستثمار)، وبين التقوى والورع الشديدين (التقشف، والزهد)(27)، وفي هذا يقول: "إن العمل والزهد هما أمران يشترط وجود أحدهما وجود الآخر"(28)، وحلل أيضا المفاهيم العقدية عند الطائفة البروتستنانية بهدف معرفة الدور الذي تلعبه القيم ذات المبادئ العقلية في النشاط الاقتصادي، فتوصل إلى ما يأتي:

- يرى البروتستانتي الخلاص من خلال نشاط الإنسان في الحياة، ويحقق ذلك عن طريق التقشف والزهد في صرف المال، مع استثمار فعال للمال. بينما يقتصر مفهوم الخلاص عند الكاثوليك على الانسحاب من الحياة، والتقشف والزهد الرهباني(29)، ولذلك يعتبر العمل عند البروتستانت رسالة تؤدى بإتقان، ووسيلة يتفانى في أدائها للحصول على الخلاص الأخروي، وتأسيس مملكة الله على الأرض(30).

- أرجع توسع الرأسمالية الحديثة في الاقتصاد إلى تطور الروح الرأسمالية التي هي أخلاقيات عقلية داعية إلى التقشف والاستثمار، وهي نفس الأخلاقيات المتوفرة في معتقد البروتستانتيين(31).

- صحح مفهوم اعتبار التوسع الاقتصادي لأوروبا أنه ناجم عن كثرة الاحتياط النقدي للأفراد أو الدول، وإنما أرجعه إلى توفر عقلانية عقلية مستمدة من قيم أخلاقية أو دينية، واستدل على ذلك بأن كل الناس يكسبون احتياطا نقديا بعد عملهم، وقل من يحافظ على ماله ويستثمره، لأن الكثير منهم يقضون على احتياطهم وادخارهم في متع الحياة والإسراف.

- يذكر فيبر أن العمل الدؤوب في مهنة ما، يمثل أفضل طريق للثقة بالنفس والذات. وبثقة الإنسان في ذاته يبدد الشك الديني، ويمنح اليقين بالغفران(32). ويقصد من كلامه –من خلال رؤيته الدينية- أن الإنسان بالعمل يحصل على الثقة بالنفس، وبهذه الثقة يكتسب الإيمان، وبالإيمان يرضى الإنسان باختيار الإله، وبهذا يعد الإنسان مصطفى ويحصل على الخلاص.

لقد مكنت هذه الدراسة العميقة لفيبر من بيان أثر العقلية الدينية في طبع السلوك الاقتصادي للفرد والدول، ومن الإقرار بأن خصوصية الغرب تكمن في العقلنة في النشاط الاجتماعي، وفي النشاط القانوني والاقتصادي والسياسي والفني. وبالإقرار أيضا بأن الأديان الفاعلة والعملية هي التي تنتج عادات، وطبائع، وأنساقا تطبع وجهة الفعل، وهو ما يسمى "بالقيم"، أو "فهم الأنساق"(33)، وبأن للحوافز الدينية أثرا عميقا في عقلنة الحياة، وفي تشجيع العمل الإنتاجي للثروات، وتحولها إلى رأس مال للاستثمار.

وحفزت هذه الدراسات أيضا السوسيولوجيا على تطوير مجالات التعامل مع الظاهرة الاجتماعية، وعلى إعطاء فعالية للقيم والدين في الحياة الاجتماعية بعيدا عن اعتبار الدين من إنتاج المجتمع مثلما أقر به دور كايم، وتمكنت من تغيير مسار علم الاجتماع من علم لا يعترف بالدين أنه من الله إلى علم يقر بأن الدين له أثر في حياة الأفراد.

ومن خلال الطرح الفيبري لعلم الاجتماع وعلاقته بالدين يسهل علينا بعد تطوير وجهة نظره أن نتحدث عن التفاعل بين علم الاجتماع وبين العلوم الإسلامية التي تقر بالله ربا، وبمحمد ﷺ نبيئا ورسولا.

5. التفاعل المعرفي بين العلوم الإسلامية وعلم الاجتماع:

إيمانا بالنظرة التوحيدية للعلوم أنها تبحث في كون الله الفسيح، وأنها تستنتج ما أودعه الله من قوانين للظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية في الكون والحياة، وانطلاقا من تصور غاية العلوم إرضاء الله تعالى اقتداء بالأنبياء عليهم السلام، فإني أسعى أن أقدم توأمة بين عِلمين متقاربين في مجالهما المعرفي، هما العلوم الإسلامية وعلم الاجتماع، وذلك بعد أن مهدنا بقراءة سابقة لتطور نظرة علم الاجتماع إلى الدين، فنتساءل الآن، كيف يمكن عقد توأمة بين علم الاجتماع والدراسات في العلوم الإسلامية؟

سنقتصر في بيان التوأمة على عرض الآليات المنهجية لعلم الاجتماع والتي يمكن أن تستفيد منها دراسات العلوم الإسلامية في تحليل مواضيعها؟

يعتمد علم الاجتماع على مجموعة من المناهج في تحليل الظاهرة الاجتماعية مثل: المنهج التجريبي، والمقارن، والوصفي، وهذا المنهج الأخير نرى أنه ستفيد منه العلوم الإسلامية كثيرا، حيث إنه يقوم بوصف الظاهرة التي يريد الباحث دراستها كما توجد فعلاً في الواقع، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبر عنها تعبيراً كيفيًا أو تعبيراً كمياً عن طريق جمع المعلومات الدقيقة عنها.

وللتعرف أكثر على المنهج الوصفي وما مدى الاستفادة منه في الدراسات المتعلقة بالعلوم الإسلامية، نقدم مثالا نموذجيا لظاهرة يدرسها علم الاجتماع وفق آلياته المعرفية، ونبين كيف ستستفيد منها الدراسات في العلوم الإسلامية. ويتمثل الأنموذج في افتراض أن خطيب صلاة جمعة يرغب التحدث في موضوع حقوق الجار، فإنه مما لا شك فيه أن يستعرض الخطيب أدلة من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ ليحث الناس على احترام الجار، وإن المصلي المستمع للخطبة يفترض منه أن يتلقى هذه المعلومات والتوجيهات ويستوعبها، لكن السؤال: هل سيتولد من الخطبة فعلا اجتماعيا إيجابيا؟ أم تبقى مجرد توصيات عالقة في الذهن، وقل ما تجد لها أثرا واقعيا؟

من المتوقع ألا ينجر من استماع الخطبة سلوك عملي، أو قد لا يفقه المستمع ما الذي ينبغي فعله حتى يكون قد أدى حق الجار. ولرفع هذا اللبس، فإننا لو عدنا إلى الآليات المنهجية لعلم الاجتماع، فإننا نجد هذا العلم يضع أمامنا طرقا علمية دقيقة، بحيث لو أجرى نفس الخطيب دراسة ميدانية عن الحي الذي يتموقع فيه المسجد لاستطاع أن يشخص الداء الذي يعاني منه أهل الحي بكل دقة وواقعية، ويقدم تحليلا عميقا لما يعاني منه المستمع للخطبة، ويساعده في تحويل النصائح إلى برامج ميدانية فاعلة، وذلك عن طريق قراءة موضوعية لما سيستخلصه الخطيب من أرقام ومعطيات كمية مفيدة بعد توزيع الاستمارات على أهل الحين وتقديم أسئلة لهم تضم مؤشرات الدراسة التي ستجرى لهم، ثم تحليل تلك الاستمارات، والتوصل إلى قيمة تأثير المتغير المستقل على المتغير التابع، وكل ذلك يتم وفق المنهج الوصفي المتعارف عليه في علم الاجتماع.

وبهذا البحث نتصور أن يكون الخطيب قد درس العلاقات الاجتماعية التي يتعامل بها أهل الحي في موضوع الجار، وتحصل على تحليل واقعي عن حيه، فإذا أضاف الخطيب إلى ما سبق استدلالات شرعية من القرآن والسنة يرصع بها خطبته فإننا نتوقع أن تكون الخطبة أبلغ في النفس وأقوى في التأثير ميدانيا بإذن الله تعالى.

ومن المفيد أن نتعرف على حيثيات المنهج الوصفي الذي نأمل أن يطبق في العلوم الإسلامية، وفق خطواته المنهجية المعروفة، والتي سنقدمها باختصار:

الملاحظة: تعني تتبعا يفضي إلى طرح تساؤل أساس في ما لوحظ.

الإشكالية: هي سؤال محوري عميق يربط بين كل عناصر الموضوع. وهي تعد بمثابة نظرية لم تجد بعد صياغة منضبطة مقبولة.

الفرضية: هي تنبؤ قابل للتحقيق، لغرض إثبات صحته أو نفيه. أو هي إجابة محتملة.

التجربة: هي التأكد من صدق أو كذب الفرضية، عن طريق تغيير الشروط والظروف والعوامل المؤثرة، وذلك لمعرفة أثر المتغير المستقل على التابع، أو للبحث عن العلاقة الكامنة بينهما.

القانون: هو صياغة تفسير، واستخلاص العلاقة بين أمرين.

ويتم اختيار مجتمع البحث من جميع المفردات المشكلة التي يدرسها الباحث، بحيث قد تكون مجموعة من الأفراد (طلبة، آباء، الجند..)، أو وحدات مركبة (مؤسسات، مدارس...). ثم تعيين عينة البحث وحجمها كجزء من الكل، لتمثيل مجتمع البحث تمثيلا جيدا. وفي تعيين نوعية عينة البحث يعتمد على خصائص كل نوع والإمكانيات المتوفرة للباحث؛ وفق الحالات التالية:

- في حالة أن أفراد مجتمع البحث معروفين، يعتمد العينة العشوائية (الاحتمالية): حيث يتم السحب بطريقة متكافئة، وهي أنواع: العينة العشوائية البسيطة (القرعة)، والعينة العشوائية المنتظمة (يحسب المدى، ثم يختار رقما عشوائيا من المجتمع، ويضاف له المدى)، والعينة العشوائية الطبقية (الاختيار وفق نسبة مؤوية في حالة أن المجتمع عبارة عن فئات ومجموعات).

- أما في حالة أن أفراد البحث غير معروفين فيعتمد العينة غير العشوائية، أو غير المنتظمة، وهي لا تعطى نفس فرص التمثيل، وتخضع لوجهة نظر الباحث، وتكون إما: عينة عمدية (اختيار كل من يبدو أنه يفيد في البحث)، أو عينة قصدية (اختيار فئة يراها الباحث تخدم غرضه).

ثم يسعى الباحث بعد ذلك إلى أن يحدد الأسلوب المناسب لجمع البيانات وأن يختار إما:

- طريق الاستمارة: وهي أداة لجمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث، وتتشكل من مجموعة أسئلة توجه إلى الأفراد المعنيين في البحث، وتتسم بسهولة تصنيف الإجابات وجدولتها، وبتحفيز المستجيب على تعبئة الاستمارة نظراً لسهولة الإجابة.

- المقابلة: توجيه أسئلة عن طريق عقد لقاء مباشر مع المبحوث.

- الملاحظة: تعني معاينة الظاهرة المدروسة؛ سواء بالمشاركة مع المبحوثين أو بدون مشاركتهم في فعلهم ونشاطهم.

- تحليل المحتوى: وهو استنطاق النصوص المكتوبة والدروس الصوتية وقراءتها بموضوعية مع الاستعانة بالتحليل الرقمي في التحليل.

وبعد تحديد الطريقة يشرع الباحث في جمع المعلومات، فتأتي مرحلة تحليل نتائج الأرقام المشكلة في جداول بسيطة ومركبة مبينا أثر المتغير المستقل على التابع، للوصول أخيرا إلى استخلاص نتائج الفرضية.

فلو نتصور الآن في مقدور باحث في العلوم الشرعية أن يدمج إلى عرضه النظري – خطبة مثلا- عرضا ميدانيا عن دراسة حالة –كما وضحنا منهجه باختصار فيما سبق- فإن بحثه سيكون مدعما بأدلة نصية من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، ثم تحليل بياني للواقع كما هو موجود وفق آليات إحصائية متطورة، فمن المؤكد بعد كل هذا أن نحصل على استفادة إيجابية للأمة الإسلامية وواقعها جراء هذه التوأمة بين عِلمين مصدرهما من الله تعالى، ويدرسان ظاهرة من الكون الإلهي، ويوظفان آليات منهجية وعقلية مكملة لبعضها.

ومن نافلة القول أن نتحدث عن أفاق التوأمة بين العِلمين (الشرعيات والسوسيولوجيا)، وعن إمكانية إدراج الآليات المنهجية السابقة في تخصصات الشرعية بداية

بالدعوة والإرشاد، إلى التأصيل لبعض المسائل الفقهية المعاصرة؛ كمسألة البنوك، والأغذية، والمواضيع الطبية المعقدة، كما لا نستبعد تطبيقها حتى في الدراسات العقدية الساعية إلى تحقيق وحدة تفاهم بين المسلمين، وإلى غير ذلك من المجالات التي يمكن إدراج التحليل الرقمي للمعطيات والبيانات فيها.

وكزيادة توضيح يمكن أن نستأنس بنموذج دراسة بعض المفاهيم وفق النظرة التوحيدية والتكاملية بين العلوم، وذلك من خلال اقتراح عناوين بحث تخدم التوأمة بين علم الاجتماع والعلوم الإسلامية، فنذكر مثلا(34):

1.5 دور المسجد في تربية الفرد:

دراسة ميدانية لحي معين، ونصوغ عناصر البحث على الشكل التالي:

- الإشكالية: ما هو الدور الذي يسهم به المسجد في تربية الفرد؟
- الفرضية العامة: للمسجد دور في تربية الفرد، وتتفرع إلى:

يسهم المسجد في التربية التعليمية للفرد.

يسهم المسجد في التربية السلوكية للفرد.

يسهم المسجد في التربية النفسية للفرد.

نموذج الدراسة

المتغيرات	الأبعاد	المؤشرات
دور المسجد		- إقامة الصلوات - معالجة القضايا والنزاعات - عقود الزواج - التعليم
تربية الفرد	- التعليمية - السلوكية - النفسية	- تحفيظ القرآن والأحاديث والمتون – تعليم أحكام الدين. - الزكاة –التبرعات – تهذيب الأخلاق. -بعث الطمأنينة في نفس الفرد - السيطرة على الشهوات. - تقوية الجانب العقدي.

2.5 دور المدرسة القرآنية في إعداد طفل ما قبل المدرسة، معرفيا وأخلاقيا: المدارس القرآنية بمدينة معينة.

- الإشكالية: هل للمدرسة القرآنية دور في إعداد طفل ما قبل المدرسة معرفيا وأخلاقيا؟

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الإجابة عن عدة تساؤلات فرعية هي:

هل تكسب المدرسة القرآنية الطفل المهارات والمعارف؟

هل تلقن المدرسة القرآنية السلوكيات الأخلاقية للطفل؟

- الفرضية العامة: تقوم المدرسة القرآنية بإعداد طفل ما قبل المدرسة؛ أخلاقيا ومعرفيا.

الفرضيات الجزئية:

تكسب المدرسة القرآنية المهارات والمعارف للطفل.

تلقن المدرسة القرآنية السلوكيات الأخلاقية للطفل.

دراسة ميدانية لحي معين، ونصوغ عناصر البحث على الشكل التالي:

3.5 قائمة المواضيع:

هذه بعض المواضيع المهمة التي تقترح للدراسة في إطار التوأمة بين بعض العلوم.

-أثر الدين على الفن عبر العصور.

-مفهوم الدرجة (والطبقة) بين القرآن الكريم وواقع المجتمعات الإسلامية.

-التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم ومن خلال المصلحين الاجتماعيين.

-واقع الجاليات الإسلامية في المهجر، وتعايش الإسلام مع الأديان: دراسة نظرية وواقعية.

-المؤسسات الدينية وعلاقتها بالفرد، أو علاقتها بالسلطة: المسجد، أو المدارس القرآنية، أو العشيرة، أو الزوايا.

-القيم الإسلامية في الأسرة: تصورا وممارسة.

-الأبعاد الدينية والاجتماعية للعولمة.

-تأثير القيم الدينية على الهندسة العمرانية لمنازل المجتمعات الإسلامية.

-تأثير الخطابات الإسلامية المتنوعة على تكوين شخصية الشاب.

6. الخاتمة:

نأمل من مقالنا أننا قد وضحنا وجود تكامل معرفي بين العلوم باعتبار أنها تصدر من الله الواحد الأحد، وبيَّنا أن العلوم الشرعية يمكن أن تستفيد من علم الاجتماع على الأقل في آلياته المنهجية. ونشير إلى أن القائمة مفتوحة لاستفادات أخرى بين العلوم تجسد التكامل المعرفي، وتوسع آفاق البحث، وتثمن نتائجه لتطوير الحضارة الإنسانية من غير إفساد في الأرض.

7. الإحالة والتهميش:

1- محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت، 2011، ص36.

2- مرت الحضارة المصرية القديمة بثلاث دول كبرى هي: الدولة القديمة، والدولة الوسطى، والدولة الحديثة؛ انظر: أبو المحاسن عصفور محمد، معالم تاريخ الشرق الأدنى من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة، بيروت، دت، ص 94.

3- سليم أحمد أمين، عبد اللطيف سوزان، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، مصر دراسة حضارية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دت، ص81.

4- جون فرانسوا شامبليون (1790- 1832م)، عالم فرنسي استطاع فك رموز اللغة المصرية القديمة بعد استعانته بحجر رشيد (مكتوب في 196ق.م) الذي كان قد اكتشف أثناء الحملة الفرنسية على مصر 1799م، وقد نقش على الحجر نص بلغتين مختلفتين، وثلاثة أحرف:

- اللغة الأولى: هي اللغة المصرية القديمة، المكتوبة بالهيروغليفية المنحوتة في جدران المعابد والبرديات لقداستها، والمكتوبة بالديموطيقية ويقصد بها الكتابة الشعبية، والمكتوبة أيضا بالقبطية.

- اللغة الثانية: هي اللغة اليونانية المكتوبة بالأبجدية اليونانية. انظر: شيرين الكردي، ريم الزاهد: باحث أثري: حجر رشيد، مفتاح الحضارة المصرية القديمة، موقع أخبار اليوم https://m.akhbarelyom.com، تاريخ النشر: 22/ 7/ 2028، تاريخ الزيارة، 10/ 1/ 2020.

ومن خلال المقارنة بين هذه اللغات والكتابات تمكن شامبليون من فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية.

5- إسماعيل حامد: الأنبياء والرسل في مصر القديمة: ديانة المصريين القدماء بين تعاليم الأنبياء وتحريف الكهنة، مكتبة النافذة، مصر، 2011، ص 30 وما بعدها.

6) الآيات من سورة النمل 15إلى آية 40.

7) إميل دور كايم: قواعد المنهج السوسيولوجي، تعريب: د. سعيد سبعون. مراجعة: د. الفضيل رتيمي. دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص55؛ محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع الديني علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص 106.

8) إميل دور كايم: قواعد المنهج السوسيولوجي، 27.

9) محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، 106.

10) فيليب كابان، وفرانسوا دورتية: علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد: سوريا، 2010، ص 25؛ إحسان محمد الحسن، وعدنان سليمان الأحمد: المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2005، ص 151.

11) يعرف دور كايم الدين بأنه: "نسق موحَّد من المعتقدات والممارسات المرتبطة بأشياء مقدَّسة، ومنفصلة، ومحرَّمة. إنّها عقائد وممارسات توحِّد، في جماعة أخلاقية واحدة تسمّى كنيسة، كلَّ الذين

ينتمون إليها". انظر: مقال حسن أحجيج: قراءة نقدية في كتاب الأشكال الأوليّة للحياة الدينية لإميل دوركايم، موقع: حكمة، http://hekmah.org، تاريخ النشر: 6/ 9/ 2015، تاريخ الزيارة: 12/ 1/ 2020.

12) بيومي: علم الاجتماع الديني، 107.

13) انظر: إميل دوركايم: اتجاهات في الأديان البدائية، ترجمة: ثائر ديب. مقال ضمن كتاب موسوعة تاريخ الأديان: الكتاب الأول، الشعوب البدائية والعصر الحجري، تحرير: فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، 2007، ط2، ص1/ 35 - 139.

14) العنوان الأصلي: Voyages and Travels of an Indian Interpreter and Trader.

15) الاسم الكامل للباحثَين: الأول Walter Baldwin Spencer (1860- 1929م)، والثاني Francis James Gillen (1855- 1912م)

16) تجنبا لكثرة الإحالات فإن وضعت الاقتباسات الواردة من مقال دور كايم بين شولتين. انظر: مقال إميل دوركايم: اتجاهات في الأديان البدائية، مقال ضمن موسوعة تاريخ الأديان، 1/ 51، 58، 62، 64، 87، 108، 119؛ إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي، والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، دار الشروق، الأردن، 2009، 123؛ فيليب كابان، وفرانسوا دورتية: علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، 25؛ إحسان محمد الحسن، وعدنان سليمان الأحمد: المدخل إلى علم الاجتماع، 152؛ فراس السواح: دين الإنسان بحث في ماهية الدين، ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، سوريا، دت، ص 185.

17) محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، 110.

18) انظر تعريف الضمير الجمعي عند خالد حامد: المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر، الجزائر، 2008، ص 45.

19) من هذا المنظور صار البعض يطرح سؤالا مفاده، هل الدين ظاهرة اجتماعية؛ انظر: ناصر بن سعيد السيف: هل الدين ظاهرة اجتماعية، موقع الألوكة، www.alukah.net، تاريخ النشر: 14/ 9/ 2016، تاريخ الزيارة: 15/ 1/ 2020،

20) إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي، والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، 123.

21) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، ترجمة: محمد علي مقلّد، مراجعة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

22) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 17، هامش: 3. لم أتمكن من الحصول على تاريخ ولادته ووفاته، أما العنوان الأصلي لدراسته فهي:

Offenbacher, Martin, Konfession und soziale Schichtung: Eine Studie ¨uber die wirtschaftliche Lage der Katholiken und Protestanten in Baden, Tubingen: J.G.B. Mohr (Paul Siebeck), 1900

23) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 17، 18.

24) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 42، هامش: 1. والعنوان الأصلي للدراسة:

«Necessary Hints To Those Who Would Be Rich » (1736), in Jared Sparks, ed.,The Works of Benjamin Franklin: Containing Several Political and Historical Tracts ...Letters, Official and Private …, (Boston, 1940).

25) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 26 - 28.

26) رافع عارف الحمد الذياب، تصور ماكس فيبر للرأسمالية في الإسلام، دراسة نقدية- البروتستانتية والرأسمالية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الدراسات العليا الأردنية، إشراف: خليل درويش، 2008، ص 94.

27) دانيال هيرفيه ليجيه، جان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، ترجمة عن الفرنسية، درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 128؛ لوران فلوري: ماكس فيبير، 54.

28) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 147، 148.

29) إبراهيم عيسى عثمان: الفكر الاجتماعي، والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، 140، 141.

30) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 55؛ رافع عارف الحمد الذياب: تصور ماكس فيبير للرأسمالية في الإسلام، 81؛ محمد لطفي الدريدي: علم الاجتماع الديني، المركز القومي الديماغوجي، جامعة الزيتونة، تونس، د ت، ص 57.

31) محمد لطفي الدريدي: علم الاجتماع الديني، 60.

32) ماكس فيبر: الأخلاق البروتستانتيَّة وروح الرأسمالية، 75.

33) محمد أحمد بيومي: علم الاجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، دت، ص 102.

34) بعض هذه العناوين هي بحوث لطلبة الليسانس أشرفت عليهم لما كنت أستاذا في علم الاجتماع بجامعة أدرار.

8. قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع

- إبراهيم عيسى عثمان، الفكر الاجتماعي، والنظريات الكلاسيكية في علم الاجتماع، دار الشروق، الأردن، 2009.
- أبو المحاسن عصفور محمد، معالم تاريخ الشرق الأدنى من أقدم العصور إلى مجيء الاسكندر، دار النهضة، بيروت، دت.
- إحسان محمد الحسن، وعدنان سليمان الأحمد، المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، الأردن، 2005.
- إسماعيل حامد، الأنبياء والرسل في مصر القديمة: ديانة المصريين القدماء بين تعاليم الأنبياء وتحريف الكهنة، مكتبة النافذة، مصر، 2011.

- إميل دور كايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، تعريب: د. سعيد سبعون. مراجعة: د. الفضيل رتيمي. دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008.
- خالد حامد، المدخل إلى علم الاجتماع، جسور للنشر، الجزائر، 2008.
- دانيال هيرفيه ليجيه، وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، ترجمة عن الفرنسية، درويش الحلوجي، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.
- رافع عارف الحمد الذياب، تصور ماكس فيبر للرأسمالية في الإسلام–دراسة نقدية– البروتستانتية والرأسمالية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الدراسات العليا الأردنية، إشراف: خليل درويش، 2008.
- سليم أحمد أمين، عبد اللطيف سوزان، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، مصر دراسة حضارية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دت.
- فراس السواح، دين الإنسان، بحث في ماهية الدين، ومنشأ الدافع الديني، منشورات دار علاء الدين، سوريا، دت.
- فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، الشعوب البدائية والعصر الحجري، منشورات دار علاء الدين، 2007، ط2.
- فيليب كابان، وفرانسوا دورتية، علم الاجتماع، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات، ترجمة: إياس حسن، دار الفرقد: سوريا، 2010.
- لوران فلوري، ماكس فيبير، ترجمة: د. محمد علي مقلّد، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.
- ماكس فيبر، الأخلاق البروتستانتيّة وروح الرأسماليّة، ترجمة: محمد علي مقلّد، مراجعة: جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.
- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، دت.
- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية. مصر.
- محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت، 2011.
- محمد لطفي الدريدي، علم الاجتماع الديني، المركز القومي الديماغوجي، جامعة الزيتونة، تونس، د ت.

ثانيا: المقالات

- حسن أحجيج، قراءة نقدية في كتاب الأشكال الأوليّة للحياة الدينية لإميل دوركايم، موقع: حكمة، *http://hekmah.org*، تاريخ النشر: 6/ 9/ 2015، تاريخ الزيارة: 12/ 1/ 2020.
- شيرين الكردي، ريم الزاهد، باحث أثري: حجر رشيد، مفتاح الحضارة المصرية القديمة، موقع أخبار اليوم *https://m.akhbarelyom.com*، تاريخ النشر: 22/ 7/ 2028، تاريخ الزيارة، 10/ 1/ 2020.
- ناصر بن سعيد السيف، هل الدين ظاهرة اجتماعية، موقع الألوكة، *www.alukah.net*، تاريخ النشر: 14/ 9/ 2016، تاريخ الزيارة: 15/ 1/ 2020.